الريــاض ودورهـا
في عهد خـادم الحـرمين الشريفين

د. أنور بن ماجد عشقي
رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات
الإستراتيجية والقانونية

لم يكن لإنسان ليتصور أن الرياض التي كان عدد سكانها مع بداية السبعينيات في القرن الماضي قد بلغ ثمانين ألف نسمة أن تتسع مساحتها لتصل إلى ستمئة كيلومتر، ويتنامى عدد سكانها ليتجاوز أربعة ملايين ونصف المليون نسمة مع بداية القرن الحادي والعشرين، لتصبح واحدة من أكبر المدن العالمية، وأكثرها تنظيماً وجمالاً.

تتربع مدينة الرياض على هضبة نجد، بينما تتوزع مناطق المملكة من حولها؛ فالمنطقة الشرقية من الشرق، والمنطقة الغربية من الغرب، ومنطقة نجران من الجنوب، ومنطقة القصيم من الشمال.

يعود تاريخها إلى أحقاب موغلة في القدم، فأحجارها تحمل دلالات العصر الحجري الأعلى، الذي يعود إلى ربع مليون سنة، قامت الرياض على أنقاض مدينة حجر، وهذا ما يميل إليه معظم المؤرخين.

كانت مدينة حجر حاضرة مزدهرة، تنتشر في وسط الجزيرة العربية، وظلت إلى بداية العصر الإسلامي، ولم تتراجع في ازدهارها إلا بانتقال العاصمة الإسلامية إلى دمشق في العصر الأموي، ثم إلى بغداد في العصر العباسي.

ارتبط اسم الرياض بالدولة السعودية الثانية، عندما اختارها الإمام تركي بن عبدالله عاصمة للدولة السعودية، وأطلق عليها اسم الرياض، لما اشتهرت به من البساتين والنخيل، التي كانت تميزها من الصحراء من حولها، لكن الفتن والحروب اكتنفتها، حتى استعادها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن – طيب الله ثراه – واختارها عاصمة رسمية للمملكة عام ١٣٥١ (١٩٣٢م).

ومن يومها بدأت تظهر فيها الإنجازات العمرانية والحضارية، وتنامت عندما قاد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز الأعمال الإدارية، وحركة التنمية الشاملة فيها، لما يزيد على خمسة عقود من الزمان منذ أن تولى إمارتها عام ١٣٧٣ (١٩٥٤م)، فارتبطت الرياض بشخص سموه.

لقد أصبحت الرياض تضم إليها عناصر السلطة التنفيذية العليا ممثلة في الملك، ورئاسة مجلس الوزراء، والوزارات والهيئات والدواوين، والمؤسسات العامة؛ فهي عاصمة وطنية وإقليمية، وعندما أصبحت الرياض منطقة إدارية لحقت بها ١١١ محافظة ومركزاً، وبلغت مساحتها ٣٥٥ ألف كيلومتر مربع تقريباً، وأصبحت مركزاً وطنياً للتعليم العالي، فانتشرت فيها الكليات والمعاهد والجامعات، وازدهرت فيها الحركة الثقافية،

وبلغت إصداراتها اليومية ستين مطبوعة يومية وأسبوعية وفصلية وسنوية، بالإضافة إلى عشرات المكتبات، فأصبحت بحق عاصمة الثقافة العربية.

انتشرت فيها المساجد والجوامع حتى بلغت ثلاثة آلاف مسجد وجامع، على رأسها جامع الإمام فيصل بن تركي الذي يحتل قلب العاصمة، والذي يتسع لسبعة عشر ألف مصلٍ، كما انتشرت فيها الأسواق بمجموعاتها الثلاث: وسط المدينة، وهي التي تختص بيع المصنوعات والملابس التقليدية، وأسواق جنوب المدينة التي يغلب عليها الطابع التراثي والشعبي، والأسواق الحديثة التي تنتشر شمال الرياض بمجمعاتها التجارية، وأسواقها المركزية الضخمة.

كما تزخر الرياض بالأماكن السياحية والتاريخية والتراثية والترويحية، وتتنوع فيها الأنشطة الاقتصادية من مالية ومصرفية، وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله دخلت الرياض ومعها المملكة العربية السعودية منظمة التجارة الدولية، وبدأت بتحديات عالمية تؤهلها للقيام بدور فاعل على المستوى العربي والدولي.

لقد ظل خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز يساهم في البناء، إلى جانب إخوانه الملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد – رحمهم الله – وكان له الأثر الواضح طوال هذه العهود.

واليوم عندما تسلم المسؤولية، عمد إلى إعادة البناء بكل صوره التجارية والاقتصادية والثقافية، فاتخذ من الإصلاح طريقاً، ومن الحوار الوطني أسلوباً، ومن الاقتصاد منهجاً.

أمر بتوسيع الحرمين الشريفين في المدينة المنورة، ومكة المكرمة، ثم أولى الجانب الأمني العناية والاهتمام بعد أن صارع الإرهاب فصرعه، ثم أعاد بناء الأمن، وأسس مجلس الأمن الوطني، كما أعاد البناء الوطني، فأسس مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، فأشاع بذلك ثقافة الحوار في سبيل القضاء على التطرف والغلو والعنف، وتجفيف منابع الإرهاب،

كما أعطى المرأة الحق في بناء الوطن، ففتح أمامها الأبواب في إطار الشرع والعفاف، وأسس عدة جامعات، فضاعف من إعدادها.

واليوم نجده يضع الأساس لصرح اقتصادي لم يشهد العالم له مثيلاً، هو بناء (مدينة الملك عبدالله الاقتصادية)، التي رصد لها استثمارات تصل إلى مئة مليار ريال، وعلى مساحة ٥٥ مليون متر مربع على ساحل البحر الأحمر، وبطول ٥٣ كيلومتراً، بجوار مدينة رابغ الصناعية، وتضم ست مناطق رئيسة، هي: ميناء بحري عالمي، ومنطقة صناعية، ومنتجعات شاطئية، وجزيرة مالية، وأحياء سكنية، ومدينة تعليمية.

لقد شهدت الرياض في مقر الهيئة العامة للاستثمار الحفل الخاص بتدشين مدينة الملك عبدالله الاقتصادية، الذي كشف عن تفاصيل هذا المشروع، حيث توقعت الهيئة العامة للاستثمار توفير ٥٠٠ ألف فرصة عمل جديدة، بالإضافة إلى منشآت لاستقبال نصف مليون حاج سنوياً.

إن التقدم والازدهار لا يأتي من قبل الثروات النفطية، ولا من قبيل الأعمال التلقائية، بل يتحقق على أيدي رجال أخلصوا لدينهم وأمتهم.